عَقِيْدَةُ فِرْقَةِ الأَشَاعِرَة

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

عَقِيْدَةُ فِرْقَةِ الأَشَاعِرَة

✍ التعريفُ بها:

الأشاعرة فرقة كلامية مبتدعة تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج عَلَىَ المعتزلة بعد أن كان منهم أربعين سنة، خالفت أهل السُّنَّة والجماعة في أصول كثيرة، والأشاعرة من بعد الأشعري انتسبوا إليه في مرحلته الثانية التي كان عليها، وهي طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب.

✍ أبرز أئمة المذهب:

١- القاضي أبو بكر الباقلاني (٣٢٨ - ٤٠٣ هـ).

☜ من كتبه:

أ- [الإنصاف] (الرسالة الحرة).

ب- [تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل].

٢- إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤١٩ - ٤٧٨ هـ).

☜ من كتبه:

أ- [الإرشاد].

ب- [الشامل في أصول الدين].

ت- [الرسالة النظامية].

٣- أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) وهو مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي حجة الإسلام.

☜ من كتبه:

أ- [الاقتصاد في الاعتقاد].

٤- الفخر الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ).

☜ من كتبه:

أ- [أساس التقديس] وهو الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: [بيان تلبيس الجهمية].

ب- [الأربعين في أصول الدين].

ت- [محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين].

✍ ومن علمائهم:

١. الشهرستاني صاحب كتاب [نهاية الإقدام في علم الكلام]، و[الملل والنحل].

٢. الآمدي صاحب كتاب [غاية المرام في علم الكلام]، و[أبكار الأفكار].

٣. الإيجي صاحب كتاب [المواقف في علم الكلام].

✍ ومن المتأخرين:

١. السنوسي صاحب [الصغرى] المسماة بـ[أم البراهين]، وصاحب [الكبرى] المسماة بـ[عمدة أهل التوفيق والتسديد].

٢. إبراهيم اللقاني صاحب المنظومة المشهورة [جوهرة التوحيد] وقد شرحها مؤلفها بـ٣ شروح: [مختصر] و[متوسط] و[كبير].

أما المختصر فقد طبع مؤخرًا وهو المسمىٰ بـ[هداية المريد إِلَى جوهرة التوحيد]، وأما المتوسط والكبير فلا أعلم أنهما قد طبعا.

✍ وأما أبرز الأشاعرة المعاصرون فمنهم:

١. الشيخ مُحَمَّد عبده شيخ الأزهر في عهد الاستعمار البريطاني لمصر له رسالة [التوحيد عَلَى مذهب الأشاعرة]، وكذا [الإسلام مع العلم والمدنية].

٢. الأستاذ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، صاحب رسالة [العقائد] بناها عَلَىَ مذهب الأشاعرة كصاحب [الجوهرة والسنوسية].

٣. الشيخ حسن أيوب صاحب كتاب [تبسيط العقائد الإسلامية] قرر فيه مذهب الأشاعرة المتأخرين.

٤. مُحَمَّد أبو زهرة كما في فتاويه التي جمعها عثمان شبير.

٥. د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي صاحب كتاب [كبرى اليقينيات الكونية].

٦. الأستاذ مُحَمَّد الغزالي صاحب كتاب [عقيدة المسلم].

٧. د. يوسف القرضاوي في كتابه [البابا والإسلام] حيث ذَكَرَ أن بعض صفات الله إذا رفض قبولها العقل فإنه لا يعتد بها ولا تثبت لله، وفي تقديمه لكتاب [القول التام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام] والذي قرر فيه أن الحق بزعمه في آيات صفات الله وأحاديثها أحد أمرين هما:

١) التأويل.

٢) التفويض.

٨. الأستاذ علي الطنطاوي في كتابه [تعريف عام بدين الإسلام].

٩. الشيخ سيد سابق في كتابه [العقائد الإسلامية]، وهو صاحب الكتاب المشهور [فقه السُّنَّة].

١٠. الأستاذ وهبي سليمان الغاوجي في كتابه [أركان الإسلام].

١١. الأستاذ سعيد حوىٰ في كتابه [الله جَلَّ جَلَالُهُ].

١٢. الأستاذ عبد الفتاح أبو غُدَّة في تحقيقاته عَلَىٰ كتب الديوبندية الماتريدية كـ[الفرع والتكميل] وغيرها.

١٣. سعيد فودة أشعري متعصب معاصر له نقض التدمرية.

١٤. سيف العصري صاحب كتاب [القول التام بإثبات التفويض مذهبًا للسلف الكرام].

قدَّم له الأشاعرة التالية أسماؤهم:

١) يوسف القرضاوي.
٢) مُحَمَّد تقي العثماني.
٣) وهبي غاوجي وغيرهم.

١٥. صالح الأسمري الموظف سابقًا في وزارة الشؤون الإسـلامية في المملكـة وكان ينشر الأشعرية فأبعد عن الوزارة والحمد لله.

١٦. من أشعرية الحجاز الذين جمعـوا مـع التمشـعر التَّصَـوُّف عمـر عبـد الله كامل.

١٧. مفتي مصر السابق القبوري الأشعري علي جمعة.

١٨. شيخ الأزهر الحالي أحمد الطيب.

١٩. من صوفية وأشعرية الأحساء:

١) أحمد الدوغان.

٢) عبد الإله العرفج.

٣) قيس بن مُحَمَّد آل مبارك وغيرهم.

الأصول العقدية للأشاعرة:

أولًا: مصدر التلقي:

عند الأشاعرة العقل فهم يرونه مصدرًا للعقائد ومعارضًا للنقل وهي نصوص الوحي، فمنهج الأشاعرة يقوم عَلَىٰ افتعال تعارض بين النقل والعقل كما في القانون الكلي الذي وضعه لهم الرازي[١] وذكره في [الأربعين في أصول الدين][٢] في صورة مقدمات، وعليه عول من بعده من الأشاعرة كالإيجي في [المواقف] ومن بعده من متأخري الأشاعرة كالسنوسي في [الكبرى] وصاحب [جوهرة التوحيد] وشروحها، وملخص هٰذَا القانون الخطير: (القطع بتقديم الدلائل العقلية عَلَىٰ الدلائل النقلية -القرآن وَالسُّنَّة- وأن الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير غير صحيحة أو يقال أنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها ثُمَّ إن جوزنا التأويل اشتغلنا عَلَىٰ سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات عَلَىٰ التفصيل، وإن لم نجز التأويل فوضنا العلم بها إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ).

(١) "أساس التقديس" للرازي، ص (١٧٢ - ١٧٣) طبعة الحلبي ١٣٥٤ هـ.
(٢) "الأربعين من أصول الدين" للرازي ص (١١٥).

بل ذهب السنوسي إِلَىٰ أبعد من هٰذَا فَقَالَ: (ولهذا قيل إن أصول الكفر ستة ... وذكر السَّادِس فَقَالَ: والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب وَالسُّنَّة من غير عرضها عَلَىٰ البراهين العقلية والقواطع الشرعية)[1].

وقد رتب الأشاعرة عَلَىٰ جعل العقل مصدرًا للتلقي ومعارضًا للوحي - النقل- أصولًا خيرة باطلة منها:

(١) إسقاط قيمة النصوص الشرعية من القرآن وصحيح السُّنَّة في مجال العقيدة وعدم الاعتداد بها، كما صرح الآمدي بذلك قائلًا: (ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب وَالسُّنَّة وأقوال بعض الأئمة وهي بأسرها ظنية ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية؛ فلهذا آثرنا الإعراض عنها ولم نشغل الزمان بإيرادها)[2]، وذكر أيضًا (أن النصوص ظنية وأن العمدة هو العقليات)[3].

(٢) عدم إفادة هٰذِه النصوص لليقين، بل هي ظنية الدلالة في القرآن فلا يحتج بها وخبر آحاد السُّنَّة فلا تقبل -نعوذ بالله من ذلك الضلال-.

---

(١) "شرح أم البراهين" للسنوسي، ص (٢٩٢).

(٢) "غاية المرام" للآمدي ص (١٧٦).

(٣) "غاية المرام" للآمدي ص (١١٧).

☜ ثانيًا: أول واجب عَلَى المكلف:

عندنا معشر أهل السُّنَّة شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حين بعث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا إِلَىٰ اليمن فَقَالَ له: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

أما أول واجب عند الأشاعرة فهو النظر أو القصد إِلَىٰ النظر أو أول جزء من النظر ... إِلَىٰ آخر فلسفتهم المختلف فيها.

وعندهم أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف وجب عليه النظر ثُمَّ الإيمان واختلفوا فيمن مات قبل النظر أو في أثنائه أيحكم له الإسلام أو الكفر؟!

وليس مرادهم بالنظر التفكر المذكور في مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١] بل هو نظر خاص وهو النظر المنطقي المجرد.

وقد عقد السنوسي في شرح الكبرىٰ فصلًا خاصًّا لبيانه وذكر طرقه ابتداءً من (ص ٧٠) وصرح بأن المقصود بالنظر هو العقلي.

وفسَّر الدسوقي في حاشيته عَلَىٰ [أم البراهين] (ص ٧٥) النظر بأنه المركب من مقدمات يقينية، وَهٰذَا ما قرره حسن البنا في أول رسالته [العقائد].

✍ **أقول**: وإيجاب هٰذَا النظر المعين وأن المعرفة متوقفة عليه خلاف ما جاءت به نصوص القرآن وَالسُّنَّة وما عليه سلف الأمة، بل خلاف دعوة الأنبياء جميعًا، فليس في الرسول من قَالَ لقومه: إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق، فانظروا واستدلوا حتىٰ تعرفوه. بل كل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.

قَالَ أبو المظفر السمعاني في [الانتصار لأهل الحديث]: (وإنما أنكرنا طريقة أهل الكلام فيما أسسوا فإنهم قالوا: أول ما يجب عَلَىٰ الإنسان النظر المؤدي إِلَىٰ معرفة الباري عَزَّ وَجَلَّ، وَهٰذَا قول مخترع لم يسبقهم إليه أحد من السلف وأئمة الدين)[(١)].

☜ ثالثًا: التوحيد:

التوحيد عند أهل السُّنَّة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة:

❶ الربوبية.

❷ الألوهية.

---

(١) "الحجة" للأصبهاني (٢ / ١٢٠).

❸ الأسماء والصفات.

وهو عندهم أول واجب عَلَىٰ المكلف، أما الأشاعرة فتجدهم يقسمون التوحيد إِلَىٰ ثلاثة أقسام:

① توحيد الذات.

② توحيد الصفات.

③ توحيد الأفعال.

قَالَ الشهرستاني: (فالباري تَعَالَىٰ واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له)[1]، وانظر في ذلك [هداية المريد لجوهرة التوحيد] للقاني (١ / ٧٤، ٨٣)، حاشية الدسوقي عَلَىٰ [أم البراهين] وشرحها ص (١٣٨، ٢٥٥)، [رسالة العقائد] لحسن البنا ص (٤٢١) ضمن مجموعة رسائله، [كبرى اليقينيات الكونية] للبوطي ص (١١١ - ١١٢)، [الله جَلَّ جَلَالُهُ] لسعيد حوىٰ ص (٣٠ - ٣١).

- ومرادهم بتوحيد الذات أن الله لا قسيم له.
- ومرادهم بتوحيد الصفات نفي ما عدا الصفات السبع؛ لأنها تشبيه.

(١) "نهاية الإقدام" ص (٩٠).

➥ ومرادهم بهذين النوعين نفي التثنية أو التعدد، ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، حسب تعبير الدسوقي في حاشيته عَلَىٰ [أم البراهين][(١)]: (فوحدانية الذات تنفي التركيب في ذاته تَعَالَىٰ، وتنفي التعدد ... ووحدانية الصفات تنفي اتصاف الذات العلية بقدرتين وإرادتين ... وتنفي وجود صفة تشبه صفته في ذات غير ذاته حادثة).

ويقول البوطي مبينًا معنىٰ الوحدانية: (ومعناها: سلب تصور الكمية في ذاته وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سواء الكمية المتصلة والكمية المنفصلة، أي: فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس مركبًا من أجزاء ولا مكونًا من جزئيات)[(٢)].

✍ **أقول**: وبنوا عَلَىٰ ذلك نفي الصفات الذاتية الخبرية عن الله كالوجه، واليدين، والعينين، والساق، والأصابع وكذا العلو، والفوقية، والاستواء، والنزول، والمجيء، والمحبة، والغضب وغيرها من صفات الفعل الاختيارية، لأن هٰذَا دل بزعمهم عَلَىٰ التركيب والأجزاء.

وأما وحدانية الأفعال عندهم وهي الغاية من التوحيد: فهي توحيد الربوبية حيث فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر عَلَىٰ الاختراع كما ذَكَرَ ذلك البيهقي في كتابه

---

(١) "حاشية الدسوقي عَلَىٰ أم البراهين" للدسوقي، ص (٢٥٥).

(٢) "كبرىٰ اليقينيات" للبوطي، ص (١١١ - ١١٢).

[الاعتقاد]، والسنوسي في [أم البراهين] حيث يقول: (الإله: المستغني عمن سواه، المفتقر إليه كل من عداه).

وانبنىٰ عَلَىٰ هٰذَا التفسير الباطل أمر خطير وهو أن الشِّرْك المؤثر عندهم في باب الربوبية دون الألوهية، فمن اعتقد أن هناك خالقًا أو رازقًا أو قديرًا مع الله فقد أشرك بالله، أما من دعا غير الله أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فليس بمشرك.

ومن هنا نعلم أن انتشار القبورية الآن في العالم الإسلامي وعدم إنكار الممارسات الشركية من أعظم أسبابه:

عدم تفسير "الإله" بالمعبود (توحيد الألوهية) وتفسيرها بالقدرة عَلَىٰ الاختراع (توحيد الربوبية)، فلا تجد هؤلاء الأشاعرة ينكرون هٰذِه الشركيات؛ لأنها لا تخالف التوحيد عندهم؛ لأنهم لا يرون توحيد الألوهية بمفهومه الصحيح نوعًا من أنواع التوحيد.

ولذا قرر حسن أيوب وهو من الأشاعرة المعاصرين أن اعتقاد أهل القبور من أنبياء وأولياء يضرون وينفعون، وأن الاستغاثة بهم ودعائهم من دون الله ورفع الحوائج إليهم من البدع العقدية غير المكفرة[1].

بينما تفسير **لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**: لا معبود بحقٍّ إلا الله.

رابعًا: الإيمان:

الأشاعرة في الإيمان -وَهٰذَا هو صريح مذهبهم في كتبهم- مرجئة جهمية أجمعت كتبهم قاطبة عَلَىٰ أنَّ الإيمان هو التصديق القلبي واختلفوا في النطق في الشهادتين، هل يكفي عنه تصديق القلب أم لَا بُدَّ منه؟

قَالَ صاحب جوهرة التوحيد:

وفُسِّر الإيمان بالتصديق   والنطق فيه الخلف بالتحقيق

وقد ذهب حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بهما[2]. انظر في ذلك [غاية المرام] للآمدي (ص ٣١١) حيث ذَكَرَ أن من يقول:

---

(١) "السلوك الاجتماعي في الإسلام" لحسن أيوب، ص (٤٩).

(٢) "تبسيط العقائد الإسلامية" حسن أيوب، ص (٢٩ – ٣٣).

الإيمان التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، إنما هو قول الحشوية، ويريدهم أهل السُّنَّة.

قَالَ اللقاني في شرحه عَلَىٰ جوهرته[1]: (جمهور المتكلمين من الأشاعرة والمتريدية فسروا الإيمان عرفًا بأنه تصديق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما علم مجيئه من الدين بالضرورة، أي فيما اشتهر بين أهل الإسلام وصار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة؛ أي: الإذعان والقبول مع الرضا والتسليم وطمأنينة النفس لذلك، تفصيلًا فيما علم تفصيلًا، وإجمالًا فيما علم إجمالًا).

❁ وبناء عَلَىٰ هٰذَا قالوا بأن تصديق كل الناس واحد، وبنوا عليه إنكار مسألة الإيمان ونقصانه، ولهم في ذلك مسلكان:

❶ **اَلْأَوَّلُ**: ردها وَهٰذَا ما قرره الجويني في [الإرشاد] [2].

❷ **الثَّانِي**: تأويلها ولهم في ذلك وجهان نص عليهما الباقلاني في [الإنصاف]:

١. إما أن تكون الزيادة والنقصان راجعة إِلَىٰ القول والعمل دون التصديق؛ لأن ذلك يتصور فيهما مع بقاء الإيمان، فالإيمان الذي هو

---

(١) "هداية المريد" ص (٧٥).

(٢) "الإرشاد" للجويني ص (٣٩٩).

التصديق لا يعتريه شيء من ذلك، وإنما يكون ذلك من المكملات الزائدة عن الحقيقة.

٢. أو يتصور ذلك من حيث الحكم لا من حيث الصورة ويكون المراد بذلك في الزيادة والنقصان راجعًا إِلَىٰ الجزاء والثواب، والمدح والثناء دون نقص وزيادة في التصديق.

✍ **أقول**: وإذا كان الإيمان عندهم هو تصديق القلب فقط، فالكفر عندهم مختص بالتكذيب فقط، فألغوا كفر الإعراض، وكفر الإباء والاستكبار مع التصديق مع أن النصوص جاءت بها، فالكفر أعم من التكذيب.

وبنوا عَلَىٰ قولهم هٰذَا أن من ارتكب المكفرات القولية، أو العلمية من السجود للصنم، ولبس الصليب، وقتل النَّبِيّ، وإهانة المصحف الشريف ونحو ذلك، فإن هٰذَا ليس بكفر، وإنما هو دليل عَلَىٰ الكفر الذي هو انتفاء التصديق من قلب فاعله، كما قرر الغزالي في كتابه [الاقتصاد في الاعتقاد]، والرازي في تفسيره[1].

ولهذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في [الإيمان الكبير] أنهم عَلَىٰ مذهب الجهم بن صفوان في الإيمان.

---

(١) "تفسير الرازي" (٢ / ٤٢ - ٤٣).

وقد دلت نصوص الكتاب وَالسُّنَّة وإجماع سلف الأمة عَلَىٰ أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

قَالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم من أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر)[1].

خامسًا: القدر:

الأشاعرة في باب أفعال العباد من مسائل القدر جبرية متوسطة، فهم يرون أن العبد له قدرة لكنها غير مؤثرة في فعله، بل المؤثر في الأفعال والأسباب هو الله وحده، واخترعوا في ذلك لفظ "الكسب" واختلفت عباراتهم في تعريفه، حتىٰ ذَكَرَ بعض شراح [الجوهرة] له أكثر من اثني عشر تعريفًا، يقول اللقاني في شح جوهرته: (هٰذِه المسألة مترجمة في كتب القوم بمسألة "الكسب" وهي من غوامض مباحث الكلام، حتىٰ ضرب بها المثل؛ فقيل: أخفىٰ من كسب الأشعري، فحارت أفهامهم في تصورها واضطربت أقوالهم في التعبير عنها)[2].

(١) "شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة" للإمام اللالكائي (٥ / ٨٨٦).

(٢) "شرح الجوهرة" للقاني، ص (١٧٠).

قَالَ الرازي: (إن المؤثر في حصول هٰذَا الفعل هو قدرة الله تَعَالَىٰ، وليس لقدرة العبد في وجوده أثر، وَهٰذَا قول أبي الحسن الأشعري وأكثر أتباعه، كالقاضي أبي بكر الباقلاني وابن فورك)[1].

وجاء في شرح [الجوهرة] للبيوجوري: (وبالجملة فليس للعبد تأثير ما فهو مجبور باطنًا مختار ظاهرًا)[2].

وحاصل الكسب عند متأخريهم كما قَالَ ابن القيم في [شفاء العليل]: (عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أجرىٰ العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بها فَهٰذَا الاقتران هو الكسب)[3].

وقال أيضًا: (وكسب الجبرية -يعني الأشعرية- لفظ لا معنىٰ له ولا حاصل تحته)[4].

---

(١) "المطالب العالية" للرازي، (٩ / ٦).

(٢) "شرح الجوهرة" للبيجوري ص (١٠٥).

(٣) "شفاء العليل" لابن القيم ص (١٢٢).

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

✍ **أقول**: نظرية الكسب عند الأشاعرة في مآلها جبرية خالصة؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير، وأما من الناحية النرية فهي غامضة غير معكوفة ولا مفهومة.

قَالَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (بل قدرة العبد عندهم لا تتعلق إلا بفعل في محلها، مع أنها عند شيخهم غير مؤثرة في المقدور ولا يقول إن العبد فاعل في الحقيقة، بل كاسب، ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقًا معقولًا، بل حقيقة قولهم قول جهم: "إن العبد لا قدرة له ولا فعل ولا كسب")[1].

وأيضًا فهم ينكرون تأثير الأسباب في مسبباتها وأن يكون شيء يؤثر في شيء؛ فالأسباب عندهم علاقات واقتران فقط لا تأثير له.

قَالَ السنوسي في شرح [أم البراهين]: (وكما أن هٰذِه القدرة الحادثة لا أثر لها أصلًا في فعل من الأفعال، كذلك لا أثر للنار في شيء من الإحراق أو الطبخ أو التسخين لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها، بل الله أجرىٰ العادة اختيارًا منه عَزَّ وَجَلَّ بإيجاد تلك الأمور عندها لا بها، وقس عَلَىٰ هٰذَا ما يوجد من القطع عند السكين والألم عند الجوع، والشبع عند الطعام، والري والنبات عند الماء، والضوء عند

(١) "النبوات" لابن تيمية (١/ ٤٦٢).

الشمس والسراج ونحوهما، فاقطع في ذلك كله بأنه مخلوق لله بلا واسطة البتة، وأنه لا تأثير فيه أصلًا لتلك الأشياء التي جرت العادة بوجودها معها)[١].

☜ سادسًا: النبوات:

❶ يقرر الأشاعرة أن إرسال الرسل راجع للمشيئة المحضة، مجردة عن أي حكمة أو تعليل، فيجوز عَلَىٰ الله عقلًا إرسال الرسل.

فأنكروا أن يكون لأفعاله تَعَالَىٰ -ومنها إرسال الرسل- حكمة أو غرض أراد الله تَعَالَىٰ تحقيقه بهذا الفعل، بل الأمر كله راجع إِلَىٰ المشيئة المحضة، فهو تَعَالَىٰ يفعل لا لشيء.

والقول بأن حكم النبوة مجرد الجواز صرح به الأشاعرة في كتبهم كافة، يقول الآمدي: (مذهب أهل الحق أن النبوات ليست واجبة أن تكون، ولا ممتنعة أن تكون، بل الكون وأن لا تكون بالنسبة إِلَىٰ ذاتها وإلى مرجعها سيان، وهما بالنظر إليه سيان)[٢].

---

(١) "شرح أم البراهين" للسنوسي، ص (٢١٦).

(٢) "غاية المرام" للآمدي، ص (٣١٨).

ويستدل الجويني عَلَىٰ الجواز بأنه ليس من المستحيل فيقول: (والدليل عَلَىٰ جواز إرسال الله الرسل وشرع الملل أن ذلك ليس من المستحيلات التي تمتنع وقوعها لأعيانها؛ كاجتماع الضدين، وانقلاب الأجناس، ونحوها)[1].

فجعلوا قضية النبوة بمنزلة خلق إنسان أو إماتته، وإيجاد شجرة أو عدمها ... فكلها من الأمور الممكنة المتعلقة بمحض المشيئة حسب كلامهم.

وقد ذَكَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الحكمة من إرسال الرسل فَقَالَ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، وثبت في تفسيرها في الحديث المتفق عَلَىٰ صحته أن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ليس أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**».

إذًا فمذهب أهل السُّنَّة في النبوات أن إرسال الرسل جعله الله جَلَّ وَعَلَا حجة عَلَىٰ الناس -كما في الآية- ولا يطلق القول بوجوبها أو بجوازها، بل يتبع في ذلك النَّصّ الوارد؛ لأن أفعال الله تَعَالَىٰ جَلَّ وَعَلَا والإيجاب عليه والتحريم إنما يكون من عنده جَلَّ وَعَلَا.

(١) "الإرشاد" للجويني، ص (٣٠٦).

❷ حصر الأشاعرة دليل النبوة بالمعجزة، قَالَ الجويني: (لا دليل عَلَىٰ صدق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير المعجزة)[(١)].

قَالَ اللقاني: (من أفراد الجائز العقلي وجزئياته: إرسال الله تَعَالَىٰ وبعثه جميع الرسل من آدم إِلَىٰ مُحَمَّد عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)[(٢)].

✔ **أما مذهب أهل السُّنَّة والجماعة فهو**: أن النبوة والرسالة دليلها وبرهانها متنوع، فمن الأدلة والبراهين لإثبات النبوة والرسالة:

١. الآيات والبراهين التي تعطىٰ كل نبي.
٢. ما يجري من أحوال النَّبِيّ في خبره، وأمره، ونهيه، وقوله، وفعله، مما يكون دالًّا عَلَىٰ صدقه بالقطع.
٣. أن الله عَزَّ وَجَلَّ ينصر أنبيائه وأوليائه ويمكن لهم، ويخذل مدعي النبوة ولا يجعل لهم انتشارًا كبيرًا.

فَهٰذِه ثلاثة أصول.

---

(١) "الإرشاد" للجويني، ص (٣٣١).
(٢) "شرح الجوهرة" للقاني، ص (٢٠٧).

سابعًا: التأويل:

ومعناه المبتدع: صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إِلَىٰ احتمال مرجوح لقرينة، وهو بهذا المعنىٰ تحريف للكلم عن مواضعه.

وهو أصل منهجي من أصول الأشاعرة وليس هو خاصًا بمبحث الصفات بل يشمل أكثر نصوص الإيمان خاصة ما يتعلَّق بإثبات زيادته ونقصانه وتسمية بعض شعبه إيمانًا ونحوها، وكذا موضوع عصمة الأنبياء.

والسبب في ذلك أنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي حرروها بعيدًا عن الشرع مع النصوص الشرعية وقعوا بين أمرين:

(١)إما رد الكل.

(٢)أو أخذ الكل.

ولذا وجدوا في التأويل مهربًا عقليًّا من التعارض الذي اختلقته أوهامهم.

بينما مذهب السلف لا تأويل فيه لنص من النصوص الشرعية إطلاقًا ولا يوجد نص واحد -لا في الصفات ولا في غيرها- اضطر السلف إِلَىٰ تأويله.

فالتأويل في كلام السلف له معنيان:

❶ التفسير كما تجد ذلك في تفسير الطبري: القول في تأويل هٰذِه الآية أي: تفسيرها.

❷ الحقيقة التي يصير إليها الشيء كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: تحقيقها، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تحقيقه ووقوعه.

☜ ثامنًا: القرآن كلام الله:

مذهب أهل السُّنَّة في كلام الله أنه أول النوع حادث الآحاد، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لم يزل متكلمًا، وأفراد وآحاد الكلام تتجدد له شيئًا فشيئًا، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يتكلم متى شاء إذا شاء، وكلامه جَلَّ وَعَلَا بحرف وصوت مسموع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، والنداء في لغة العرب لا يكون إلا صوتًا مسموعًا كما ذَكَرَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [الرسالة البعلبكية]، والقرآن عندنا معشر أهل السُّنَّة كلام الله عَزَّ وَجَلَّ منزل غير مخلوق، وأنه تَعَالَىٰ يتكلم بكلامٍ مسموعٍ تسمعه الملائكة وسمعه جبريل، وسمعه موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ويسمعه الخلائق يوم القيامة.

أما الأشاعرة ففرقوا بين اللفظ والمعنى، فالكلام الذي يثبتونه لله جَلَّ وَعَلَا معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت، ولا يوصف بالخبر والإنشاء، أما القرآن والتوراة والإنجيل (الكتب المنزلة) ذات الترتيب والنظم والحروف فليست هي كلامه تَعَالَىٰ عَلَىٰ الحقيقة، بل هي عبارة عن كلام الله النفسي فالكلام النفسي شيء واحد في ذاته، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن جاء بالسيريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فَهَٰذِه الكتب كلها مخلوقة، ووصفها بأنها كلام الله عَزَّ وَجَلَّ مجاز؛ لأنها تعبر عنه، والنتيجة أن هَٰذَا النظم العربي الذي نقرأه في المصاحف مخلوق.

قَالَ البيجوري: (واعلم أن كلام الله يطلق عَلَىٰ الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تَعَالَىٰ، وعَلَىٰ الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه)[(١)]، وقال أيضًا: (لكن يمتنع أن يقال القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرأه إلا في مقام التعليم)[(٢)].

---

(١) "تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد" للبيجوري، ص (١٠٢).

(٢) "تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري" ص (١٣٣).

وقال الإيجي: (إذا عرفت هٰذَا فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة قائمة فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك، وما نقوله من كلام النفس فهم ينكرون ثبوته)[1].

وصرح الرازي بحدوث الحروف والأصوات وكذا الجويني بأن العبارات التي نقرأها لا ننكر أنها خلقه[2].

وقد أورد الرازي في كتابه المطالب العالية إشكالات عَلَىٰ حجج القائلين بالكلام النفسي (أصحابه الأشاعرة) ولم يتعقبها بشيء عَلَىٰ عادته، فأورد حجج القائلين بقدم الكلام وأزليته دليلًا دليلًا، وأقوىٰ تلك الأجوبة اَلْأَوَّل وَالثَّالِث، ومرجعها شيء واحد، قَالَ: (وأما الوجه اَلثَّالِث: وهو أن الكلام صفة كمال فالخلو عنه نقص، والنقص عَلَىٰ الله محال، فجوابه: أن الاشتغال بالأمر والنهي حال عدم المأمور والمنهي هو النقص والسفه)[3].

وقد قَالَ في الوجه اَلْأَوَّلُ: (لا نسلم أن السكوت نقص، بل النقص أن يقول القائل: يا زيد صل، ويا عمر صم، مع أن زيدًا وعمرًا يكونان معدومين، ألا ترىٰ أن

---

(١) "المواقف" للإيجي، ص (٢٩٤).

(٢) "الأربعين" للرازي (١ / ١٧٧).

(٣) "المطالب العالية" للرازي (٣ / ١٣٠ - ١٣١).

الرجل إذا جلس في دار نفسه وحده خاليًا عن الناس ثُمَّ يقول: يا مستقر اركب، ويا قائمًا أقبل. فإن كل أحد يقضي عليه بالجنون والنقص؛ فكذا هاهنا)[(١)].

✍ **قلت**: وَهٰذَا إلزام جيد للأشاعرة ولا محيد لهم عنه.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

فهرس المحتويات